المحاضرة الثالثة:

مقدمات في التعريف بسورة (الممتحنة):

وتفسير المقطع الأول الآيات ١إلى ٣

المحور الأول: مقدمات في العريف بالسورة

أولا: أسماء السورة:

من الأسماء التي وردت في هذه السورة:

الأول: الممتحِنة – بكسر الحاء- على أنها اسم فاعل للسورة: ووجه التسمية بذلك أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة.

والثاني: الممتحَنة -بالفتح- على أنها اسم مفعول، أضيفت السورة إلى المرأة التي وقع عليها الامتحان، على أن التعريف تعريف العهد، والمعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها، أو يكون التعريف للجنس، أي: النساء الممتحنة [١] .

وتسمى أيضاً: سورة المودَّة، وسورة: الامتحان[٢] .

ثانيا: عدد آيات السورة: هِي ثَلَاث عشرَة آيَة لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف، وَلَا نَظِير لَهَا فِي عَددهَا .

ثالثا: مكان وسنة نزول السورة:

سورة الممتحنة مدنيّة كلّها بالإجماع[٣]، ابن عطية : نزلت هذه السورة سنة ست[٤] .

رابعا: المناسبات في السورة :

– **مناسبتها لما قبلها: (المجادلة والحشر)**: هي أن سورة الممتحنة افتتحت بوصية المؤمنين وأمرهم بترك موالاة أعدائهم وهو المعنى الوارد في خاتمة المجادلة ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ .... ، **ثم جاءت سورة الحشر لتصف نوعين من الموالاة: الأولى:** موالاة المنافقين للكافرين من أهل الكتاب ووجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضا، **ثم تجيء الممتحنة** لتنهي في مطلعها عن النوع الثالث وهو موالاة المؤمنين للكافرين لئلا يتشبهوا بالمنافقين .

---

١ ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري (٢٩/ ١٨٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ١١٥) .

٢ جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين السخاوي (ص: ٩٢) .

٣ ينظر: زاد المسير ، لابن الجوزي (٤/ ٢٦٦)، والبرهان ، للزركشي (١/ ١٩٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (ص: ٤٣٧٩) .

٤ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٢٩٦) .

وعلى هذا فمضمون سورة الممتحنة يعتبر تقريرًا وتأكيدًا لما جاءَ في سورة الحشر قبلها[٥] .

– **ومناسبة أخرى:** كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وهذه السورة للمعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم[٦] .

– **مناسبتها لما بعدها:**

ومناسبتها لما بعدها أن سورة الصف اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفي ذلك تأكيد للنهي عن اتخاذ الكفار أَولياءَ وهو المعنى الذي تضمنته سورة الممتحنة [٧] .

ومناسبة أخرى أنها لما نهت سورة الممتحنة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاة الكفار من دون المؤمنين، جاءت سورة الصف لتبين في مطلعها أمرين متناسبين مع ذلك وهما:

الأول: علة النهي عن موالاتهم وهي أن المشركين استكبروا عن عبادة ربهم، مع أنه سبحانه قد سبح له ما في السموات وما في الأرض، فاستحقوا بذلك ترك الموالاة .

والثاني: الأمر بوحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الأعداء .

ومناسبة ثالثة وهي لما ذكرت سورة الممتحنة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وقت السلم، جاءت سورة الصف وحرضت على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان الذي قد يطرأ على الدولة.

خامسا: المقصد الأساس والمقاصد الفرعية للسورة :

– **المقصد الأساس للسورة:**

تحذيرُ المؤمنينَ مِن اتِّخاذِ المشركِينَ أولياءَ[٨] .

– **وأما المقاصد الفرعية لها فهي[٩]:**

- نهيُ المؤمنينَ عن اتِّخاذِ أعداءِ اللهِ وأعدائِهم أولياءَ، وبيانُ كراهيَةِ أعداءِ اللهِ للحَقِّ، وسوءِ عاقبةِ مَن يُوالِيهم. وأن القرابة أو الصداقة غير نافعة يوم القيامة.
- دعوةُ المؤمنينَ إلى الاقتِداءِ بأبيهم إبراهيمَ –عليه السَّلامُ– في قَطَعِ صِلَتَه بأبيه وقَومِه؛ لكُفرهم.

---

[٥] ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (ص: ٣٣٣). والتفسير الوسيط ، لمجمع البحوث بالأزهر (١٠/ ١٣٧٣) .

[٦] التفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١١٥) .

[٧] التفسير الوسيط ، لمجمع البحوث بالأزهر (١٠/ ١٣٩٣) .

[٨] الفسير المحرر / مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي (٣/ ٧٥) .

[٩] التفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١١٦) . التفسير المحرر

- بِشارةُ اللهِ للمُؤمنينَ بجَمْعِ شَمْلِهم بأقارِبهم، وحُصولِ المودَّةِ بيْنَهم، بهِدايةِ أقارِبهم إلى الحَقِّ.
- بَيانُ أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب في حالتي السلم والحرب، والرُّخصةِ في حُسنِ مُعامَلةِ الكَفَرةِ الَّذين لم يُقاتِلوا المسلِمينَ في الدينِ.
- تفصيلُ أحكامِ النِّساءِ اللَّائي أتَيْنَ مُؤمِناتٍ إليهم، بعد أن ترَكْنَ أزواجَهنَّ الكُفَّارَ؛ وتعويض من ذهبت أزواجهم للكفار.
- مُبايَعةِ النِّساءِ المؤمِناتِ، وشروط البيعة وبنودها، وأصولها .
- خُتِمَت السُّورةُ الكريمةُ بنَهْيِ المؤمنين عن موالاةِ أعداءِ اللهِ وأعدائِهم.

تفسير المقطع الأول (من الآية ١ إلى ٣) **وموضوعه النهي عن موالاة الكفار**

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾ [الممتحنة: ١-٣]

أولا: سبب النزول: روى البخاري في صحيحه عن عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها" فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه "من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة" يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ " ما هذا يا حاطب ؟"، قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرءا من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي؛ وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني . فقال النبي ﷺ " إنه قد صدقكم " . فقال عمر: دعني يا

رسول الله فأضرب عنقه فقال " إنه شهد بدرا وما يدريك ؟ لعل الله عز و جل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " . قال عمرو ونزلت فيه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ....﴾ [١٠] .

- والمشهور عند أهل السير والتفسير أن هذه الحادثة التي نزلت بسببها السورة كانت عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى فتح مكة؛ وقال قتادة أن هذا الكتاب أرسله حاطب لما تجهز رسول اللهﷺ للحديبية وهو قول قتادة واختاره ابن عطية وابن عاشور من المتأخرين[١١].

- **ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:**

- وجه تعلق أول هذه السورة بآخر ما قبلها، هو أن آخر سورة الحشر اشتملت أسماء اله تعالى وصفاته وما فيها من الجمال والعظمة والجلال وأوّل هذه السورة اشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات ولم يقدر الله حق قدره وهم الكفار[١٢] .

- ومن المناسبة أيضا أنه لما ذكر في السورة قبلها حالة المنافقين والكفار، افتتح هذه السورة بالنهي عن موالاة الكفار والتودّد إليهم[١٣].

- **ثالثا: غريب الألفاظ:**

- **{أَوْلِيَاءَ}** خُلَصَاءَ وَأَحِبَّاءَ وأنصارًا وأخِلَّاءَ، وأصلُ (ولي): يدُلُّ على القُرْبِ؛ سواءٌ مِن حيثُ المكانُ أو النِّسبةُ، أو الدِّينُ أو الصَّداقةُ، أو النُّصرةُ أو الاعتِقادُ، وكلُّ مَن وَلِيَ أمْرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه

- **{تلقون إليهم بالمودة}** الإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم و**{المودة}** محبة الشيء وتمني كونه.

- **{يثقفوكم}** أي: يَجِدُوكم ويَظفَروا بكم، وأصلُ (ثقف): يدُلُّ على الحِذْقِ في إدراكِ الشَّيءِ، ثمَّ يُتجَوَّزُ به فيُستعمَلُ في الظَّفَرِ والإدراكِ مطلقًا.

- **{يَبْسُطُوا}** أي: يُؤذوكُم بالمقالِ والفِعالِ، وبَسطُ اليدِ: مدُّها، ويُستعمَلُ تارةً للطَّلَبِ، وتارةً للأخذِ، وتارةً للضَّرْبِ، وتارةً للبذلِ، وأصلُ (بسط): امْتِدادُ الشَّيءِ.

---

[١٠] رواه البخار في صحيحه، ك: المغازي، باب: غزوة الفتح، رقم: ٤٠٢٥ .

[١١] جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٥٦٠) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٢٨/ ١٣٠).

[١٢] اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٩/ ٣) .

[١٣] البحر المحيط، لأبي حيان (٨/ ٢٥٠) .

- **{ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}** سَوَاءَ السَّبِيلِ :أي: قَصْدَ الطَّرِيقِ ووسَطَه، وأصلُ السَّواءِ: الوَسَطُ، والمعنى: أَخْطَأَ طَرِيقَ الهُدَى[14].
- **{يفصل بينكم}** الْفَصْلُ هُنَا: التَّفْرِيقُ، وَالْمَعْنَى: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ذَوِي أَرْحَامِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس: ٣٤- ٣٧]. [15]
- وقيل معناه الحكم والقضاء يعني يقضي بينكم ويحكم بينكم[16]..
- **رابعا**: **القراءات الواردة في الآيات**:
- ."**يَفْصِلُ بَيْنَكُم**" بِفَتْح الْيَاء وَإِسْكَان الْفَاء وَكسر الصَّاد مُخَفّفَة قراءة: عَاصِم وَيَعْقُوب.
- (**يُفَصِّل**) بِضَم الْيَاء وَفتح الْفَاء وَكسر الصَّاد مُشَدّدَة قراءة: حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَخلف.
- (**يُفَصَّل**) بِضَم الْيَاء وَفتح الْفَاء وفتح الصَّاد مُشَدّدَة قراءة: ابْن عَامر
- (**يُفْصَلُ**) بِضَم الْيَاء وَإِسْكَان الْفَاء وَفتح الصَّاد مُخَفّفَة، قراءة بَاقِي القراء وهم نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو البصري[17] .
- **خامسا**: **إعراب الآيات**:
- – **{تلقون}** الجملة حال، أي حال كونكم ملقين إليهم بالمودة؛ أَوْ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِ أَوْلياء؛ أَوْ بَيَانٍ لِمَعْنَى اتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَ[18].
- –«**بِالْمَوَدَّةِ**» "الباء" قيل: زائدة، فالمعنى تلقون إليهم المودّة، مثل {وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ} [الْمَائِدَة: ٦]. أي امسحوا رؤوسَكم؛ وقيل: سببية، كأنه قيل: تلقون إليهم أسرار رسول الله ﷺ وأخباره بسبب المودة التي بينكم وبينهم.
- وجملة «**إن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ**..." **فعل الشرط،** :شَرطٌ جَوابُه مَحذوفٌ؛ لدَلالةِ ما تقدَّمَ عليه، فيكون المعنى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي أولياء[19] .

---

[14] ينظر: غريب القرآن، للسجستاني (ص: ٥٢٥) . حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري (٢٩/ ١٩٢) . السراج في بيان غريب القرآن، محمد الخضيري (ص: ٣٣٨) .

[15] التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤١).

[16] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٦٥).

[17] تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري (ص: ٥٨٠) .

[18] التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٤).

- **أَنْ تُؤْمِنُوا** مَصدَرٌ مُؤَوَّلٌ في محَلِّ نَصبٍ مَفعولٌ لأجلِه، أي: يُخرجونَكم لإيمانِكم، أو كَراهةَ إيمانِكم؛ وَجُمْلَةُ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ يَكُونُوا، وَالْوَاوُ وَاوُ الْحَالِ، أَيْ وَهُمْ قَدْ وَدُّوا مِنَ الْآنِ أَنْ تَكْفُرُوا فَكَيْفَ لَوْ يَأْسِرُونَكُمْ أَلَيْسَ أَهَمُّ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ حِينَئِذٍ أَنْ يَرُدُّوكُمْ كُفَّارًا"[20] ..
- {وَيَوْمَ الْقِيامَةِ ظَرْفٌ يَتَنَازَعُهُ كُلٌّ مِنْ فِعْلِ لَنْ تَنْفَعَكُمْ، وَفِعْلِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ إِذْ لَا يَلْزَمُ تَقَدُّمُ الْعَامِلَيْنِ عَلَى الْمَعْمُولِ الْمُتَنَازَعِ فِيهِ إِذَا كَانَ ظَرْفًا لِأَنَّ الظُّرُوفَ تَتَقَدَّمُ عَلَى عَوَامِلِهَا وَأَنْ أَبَيْتَ هَذَا التَّنَازُعَ فَقُلْ هُوَ ظَرْفُ تَنْفَعَكُمْ وَاجْعَلْ لِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ظَرْفًا مَحْذُوفًا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ[21].

قال السمين الحلبي: يجوز في يَوْمَ الْقِيامَةِ وجهان:

- **أحدهما**: أن يتعلق بما قبله، أي: لن تنفعكم يوم القيامة، فيوقف عليه.
- **والثاني**: أن يتعلق بما بعده، أي: يفصل بينكم يوم القيامة، فيوقف على أَوْلادكمْ، ويبتدأ بـ "يَوْمَ الْقِيامَةِ"[22] .
- **سادسا**: **الجوانب البلاغية**:
- **. الاستعارة** في قوله تعالى**{تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}**، فالإلقاء حقيقته: رمي ما في اليد على الأرض، واستعير لإيقاع الشيء بدون تدبر في موقعه، أي: تصرفون إليهم مودتكم بغير تأمل[23] .
- **. الالتفات**: في قوله تعالى **{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}** والالتفات من التكلم إلى الغيبة، حيث لم يقل: أن تؤمنوا بي، للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية[24] .
- **. استئناف بياني**[25]: في **قوله تعالى "تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ"** كأنهم لما استشعروا العتاب مما تقدم سألوا ما صدر عنا حتى عوتبنا؟ فقيل: تُسِرُّونَ ... إلخ[26]

[19] ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٠/ ٥٧)، وإعراب القرآن للدعاس (٣/ ٣٣٢) .

[20] التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٠).

[21] التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٠).

[22] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (١٠/ ٣٠٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤١) .

[23] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/١٢٠ -١٢١) .

[24] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري (٢٩/ ١٩٤) .

[25] وهو جملة منقطعة إعرابا عما سبقها، تتضمن جوابا لسؤال مقدر متوقع .

- وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَنْ تُؤْمِنُوا، لِإِفَادَةِ اسْتِمْرَارِ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى الثَّنَاءِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِثَبَاتِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَصُدُّهُمْ عَنْهُ مَا سَبَّبَ لَهُمُ الْخُرُوجَ مِنْ بِلَادِهِمْ.
- فَجُمْلَةُ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ إِلَى آخِرِهَا مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا نَاشِئًا عَنْ سُؤَالٍ مَفْرُوضٍ مِمَّنْ يَسْمَعُ جُمْلَةَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ [الممتحنة: ٢] ، أَيْ مِنْ حَقِّ ذَلِكَ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ آثَارِهِ لِخَطَرِ أَمْرِهَا. .[26]
- **سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أي: يا من صدقتم الله ورسوله **{لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ}** من الكفار والمشركين **{أَوْلِيَاءَ}** أي: أنصاراً **{تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}**، أي: تُبادِرونَ إلى مودَّتِهم والتَّودُّدِ إليهم، ومِن ذلك إيصالُ أسرارِ المسلِمينَ إليهم، والنُّصحُ لهم؛ وكيف توالونهم وتوادونهم {و} هم **{قد كفروا بما جاءكم من الحق}** الذي هو دين الإسلام بعقائده وشرائعه وكتابه ورسوله. **وهم أيضا: {يخرجون الرسول} صلى الله عليه وسلم {وإياكم }** من دياركم بغير ذنب ولا سبب حق بل {أن تؤمنوا بالله ربكم} أي: من أجل أن آمنتم بربكم، أَفمِثل هؤلاء توالونهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] . وكقوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] [27]؛ ثم قال تعالى **{إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي}** أي: إن كنتم خرجتم من دياركم قصد الجهاد في سبيلي، وطلبا لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء؛ ولو فعلتم ذلك فإن الله مطلع عليكم فيما تفعلونه من الموالاة فقال تعالى **{تسرون إليهم بالمودة}** أي تعلمونهم سراً أن بينكم وبينهم مودة، **أو المعنى:** تعلمونهم سراً بأحوال النبي ﷺ بسبب المودة بينكم وبينهم[28]؛ فأنا الله **{أَعْلَمُ}** منكم ومن غيركم **{بِمَا أَخْفَيْتُمْ}** من المودة وغيرها من شؤونكم **{وَمَا أَعْلَنْتُمْ}** فالسر والعلانية عندي سواء، فأيُّ طائلٍ لكم في إسْرارِكم وقد عَلِمتم أن الإسرارَ والإعلان سيَّانِ في علمي؟[29]. وقد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة؛ فاحذروا الله الذي لا تخفى

---

[26] روح المعاني، للألوسي (١٤/ ٢٦١) .

[27] تفسير ابن كثير (٨/ ٨٦) .

[28] النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٢٦٠) .

[29] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٣٠٠).

عليه خافية؛ ومن يتجرأ على هذا التولّي **{وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ}** أي: الولاء {**فقد ضل سواء السبيل**} أي أخطأ الطريق المأمون بالانحراف عن طريق الإسلام الصحيح؛ ثم ذكر تعالى ثلاثة أمور أخرى تمنع الموالاة وتقبحها في قلوب المؤمنين وهي العداوة والإيذاء وتمني كفر المؤمنين، فقال: **{إِنْ يَثْقَفُوكُمْ}**أي يظفروا بكم فيمسكوكم **{يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً}** أي يظهروا العداوة التي يسرونها، ويكونوا حربا عليكم **{وَيَبْسُطُوا} أي يمدوا {إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ}** ضربا وتعذيبا وقتلا، وألسنتهم سبا وشتما واستهزاء وسخرية، {**وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**} وتمنوا ارتدادكم وكفركم؛ وانتزاع أغلى شيء عندكم وهو إيمانكم بربكم حتى تكونوا كافرين مثلهم، فكيف توالون من يتمنى سلب أعز شيء منكم؟ كم قال تعالى {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم}..وقال عزَّ وجلَّ :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] آل عمران: ١١٨ [. ثم نبههم لعدم الاغترار بروابط الدين لأن رابطة الإيمان أوثق وأولى فقال ـ**{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ}** الذين وادتم الكفار من أجلهم **{يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ}** أي يفرق بينكم بأن تكونوا في الجنة أيها المؤمنون ويكون أقرباؤكم المشركون في النار. {**والله بما تعملون**} من الخير والشر والتعامل مع أعدائه وغيرها **{بصير}** لا تخفى عليه خافية؛ فاحذروه ولا تخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله وتولي أولياءه ومفارقة أعدائه[٣٠] .

- **ثامنا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:**
- تحريم موالاة الكفار ومناصرتهم ومعاونتهم بأي وجه من الوجوه، فالسورة أصل في النهي عن موالاة الكفار.
- الموالاة نوعان: ظاهرة وباطنة أما الباطنة فهي محبة دينهم ومحبة ظهوره وانتصاره على دين المسلمين فهذه تنافي الإيمان فهي كفر وردة؛ وموالاة ظاهرة لسبب دنيوي كتحقيق لرغبة دنيوية أو رهبة مع اطمئنان القلب بالإيمان وعدم محبة دينهم فهذه كبيرة من الكبائر لا تقتضي الكفر والردة؛ وأما المعاملة في حاجات الدنيا كالبيع والشراء وغيرها فليست من الموالاة وسيذكر حكمها في قوله تعالى **(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) [الممتحنة: ٨]**

[٣٠] التفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١٢٢)، أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ٣٢٢) .

- من كَثُر تطلعه على عورات المسلمين ونقل أخبارهم للأعداء، لم يكن بذلك كافرا إذا كان فعله لغرض دنيوي، وكان اعتقاده سليما، كما فعل حاطب حين قصد اتخاذ اليد، ولم ينو الرّدّة عن الدّين؛ فإن والاهم رغبة في دينهم ومحبة لانتصار دينهم وعلوّه فهذه ردّة وكفر؛ ولذلك ورد في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه سأل حاطبا "ما حملك على ذلك" فبين حاطب أنه لم يحمله ارتداد بل شيئ دنيويٌّ بحت، فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومما يدل على أن هذا النوع من الموالاة أن الله تعالى خاطبهم باسم الإيمان فقال {يا أيها الذين آمنوا }.
- الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى الكافرين ويسمى الجاسوس وهو على خطر عظيم وإن صام وصلى؛ وقد اختلف أهل العلم في حكمه هَلْ يُقْتَلُ بِهِ حَدًّا أَمْ لَا؟ على النحو التالي:

الجاسوس الكافر الحربي: فهذا يجوز قتله باتفاق.

الجاسوس الكافر المعاهد: على قولين: عند المالكية يجوز قتله لأنه نقض العهد؛ وعند الجمهور فرقوا بين حالين إن كان التجسس مما ينقض العهد جاز قتله وإلا فلا.

الجاسوس المسلم: عند المالكية يجوز قتله حدًّا لا ردةً؛ ودليلهم سبب نزول الآية أنه لولا شهود حاطب لبدر لقتله؛ وعند الجمهور لا يقتل بل يعزّر فقط؛ ودليلهم قصة حاطب سبب النزول أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل حاطبا وقبل عذره بأنه لم يكفر وإنما فعل ذلك حماية لولده[٣١].

- ذكرت الآيات خمسة أسباب لتحريم موالاة الكفار، وهي: ١- الكفر بالله تعالى والرسول ﷺ، ٢- وإخراج الرسول ﷺ والمؤمنين من ديارهم وأموالهم في مكة، ٣- وعداوتهم ومحاربتهم للمؤمنين، ٤- وقتالهم إياهم وضربهم فعلا، وسبهم وشتمهم، ٥- وحرصهم على كفرهم بمحمد ﷺ .
- بينت الآيات أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم كما قال تعالى ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨].
- بين سبب النزول فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل.
- استنبط منها الشافعي قبول عذر الصادقين الصالحين ذوي السبق في الإسلام.

---

[٣١] أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٤/ ٢٢٥) [تفسير القرطبي ١٨/ ٥٣] التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ١٢٤) الفقه الإسلامي وأدلت، وهبة الرحيلي ٧/ ٥١٧، الموسوعة الفقهية الكويتية ١٠/ ١٦٦.

- سعة اطلاع الله على خلقه وعلمه بما تخفي صدورهم، فلا بد مراقبة الله في السر والعلن .
- الذي يفيد الإنسان يوم القيامة هو الإيمان والعمل الصالح، أما الأهل والأولاد و القرابات أو الأنساب، فلا ينفعون شيئا[٣٢] إذا عدم الإيمان كما قال تعالى ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ [لقمان: ٣٣] **(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) [المؤمنون: ١٠١].**

[٣٢] ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٥/٣٢٢- ٣٢٣)، والتفسير المنير، للزحيلي (٢٨/ ١٢٤) .